بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير سورة يس :

 يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون * ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون * وإن كلٌ لما جميعٌ لدينا محضرون

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي اله تعالى عنهما في قوله تعالى يا حسرة على العباد أي يا ويل العباد ، وقال قتادة يا حسرة على العباد أي يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيعت من أمر الله وفرطت في جنب الله . وفي بعض القراءات يا حسرة العباد على أنفسها ومعنى هذا يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب كيف كذبوا رسل الله وخالفوا أمر الله فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون أي يكذبونه ويستهزئون به ويجحدون ما أرسل به من الحق .

ثم قال تعالى : ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون أي ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل كيف لم يكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلتهم وفجرتهم من قولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا وهم القائلون بالدور من الدهرية وهم الذين يعتقدون جهلا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها فرد الله تبارك وتعالى عليهم باطلهم فقال تبارك وتعالى : ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا

يرجعون وقوله عز وجل وإن كل جميع لدينا محضرون أي وأن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ومعنى هذا قوله جل وعلا وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم ، وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف فمنهم من قرأ وإن كلا لما بالتخفيف فعنده أن إن للإثبات ، ومنهم من شدد لما وجعل أن نافية ولما بمعنى إلا تقديره وما كل إلا جميع لدينا محضرون ومعنى القراءتين واحد والله سبحانه وتعالى أعلم .

الشرح :

قوله : **يا حسرة** الحسر : هو والانقطاع لأن حَسَر الشيءٍ بمعنى انقطع ، وحسر فلان الشيء : بمعنى أزال ما عليه . فإذاً هنا في قوله :

 يا حسرة هي من الحسر ، وهو الانقطاع ، الانقطاع هو الذي جاء في قوله : **ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير** وهو المذكور في قوله : **فتقعد ملوماً محسوراً** قال : ملوماً محسوراً : يعني من الانقطاع ليس عندك شيء .

والمتحسر : المتحسر صاحب الحسرة هذا يبقى منقطعاً لأنه ذهب عنه ما يكون به قوامه ، إما من جهة الجاه وإما من جهة المال وإما من جهة اللذة وإما من جهة بقاء الحياة ، ونحو ذلك . هؤلاء تحسروا : بمعنى أصاب صدورهم الحسرة التي نتيجتها وسببها ـ لاحظوا ـ سببها انقطاع ما سبق ونتيجتها الانقطاع عن غيرهم ، هذا أصاب قلوبهم بالحسرة . والحسرة : شيء في القلب يكون معه الندم العظيم على ما فات والقلق مع الندم على ما فات .

هنا قوله : **يا حسرة** ما المنادى ؟ **يا حسرة على العباد** المنادى الحسرة ، لكن من هو المتحسر ؟ من الناس من قال : إن الحسرة هنا مضافة إلى الله جل

....

وعلا واستدل لذلك بأن في بعض القراءات **يا حسرتي على العباد** لكن هذا ليس بصحيح ، والصواب ما ذكره ابن كثير هنا أن المتحسرة هم العباد . **يا حسرة على العباد** يعني أن الحسرة ستلازم العباد ، ستلازمهم وستأتيهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب ، وفي الدنيا أيضاً إذا عاينوا العذاب . وأيضاً في الدنيا إذا عاينوا ملك الموت وجنده ومن معه .

فإذاً المتحسر هو العباد ، وسبب المناداة هنا : يا حسرة على العباد : لإحضارها ، وذلك أعظم في تأثيرها على النفس ؛ لأن الحسرة باقي ستأتي وستلازم العباد الذين كذبوا الرسل واستهزءوا بهم . فإذاً المتحسر ـ كما نُقل هنا عن قتادة وعن غيره ـ المتحسر هم العباد ، إما يوم القيامة إذا عاينوا العذاب ، وإما في الدنيا إذا عاينوا عقوبة الله جل وعلا أو عاينوا ملائكة الرحمن جل وعلا .

 يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون ، قوله هنا : (ما) و(إلا) **ما يأتيهم من رسول إلا** هذا للحصر ، وحصر فعلهم إذا جاءهم الرسول في الاستهزاء ، يعني أنهم كلما أتاهم رسول قابلوه بالاستهزاء ، حصر مقابلتهم للرسل في الاستهزاء ، فكل رسول يأتي يقابلونه بالاستهزاء . وهذا يُعنى به العباد المتحسرون يوم القيامة ، يعني المستهزئون بالرسل وهم المتحسرون يوم القيامة .

 يا حسرة على العباد ما يأتيهم الضمير هذا يرجع إلى العباد الذين سيتحسرون في الدنيا وسيتحسرون يوم القيامة ، ومعلوم أن الحسرة إنما هي للمكذبين للرسل ، فإذاً يخرج من الحسرة كل من آمن بالرسل ، فليس له الحسرة في الدنيا وليس عليه الحسرة يوم القيامة ، بل هو آمن في الدنيا وآمن يوم الفزع عند لقائه لربه .

قال هنا : **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون** ألم يروا : يعني أولئك العباد الذين كذبوا الرسل ألم يروا رؤية اعتبار واتعاظ ؛ لأن الرؤية

في القرآن قسمان : رؤية بصرية ، ورؤية علمية . والرؤية البصرية يراد منها الاتعاظ أيضاً وأخذ العبرة والتذكر ، والرؤية العلمية أيضاً يراد منها العلم وأحياناً يراد منها التذكر والاعتبار .

هنا **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون** هم في بعض القرون التي سلفتهم وسبقتهم رأوها بالعيان ، رأوها عينا ، رأوها بصراً ، وبعضها رأوها علماً ، ولهذا رأوا هنا تحتمل أن تكون بصرية ويحتمل أن تكون علمية . **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم** فتكون هنا فيما رأوه بأبصارهم ، مثل مدائن صالح ، ومثل ما حولهم ، هذا رأوه بأبصارهم تكون بصرية ، أو تكون علمية ، ويكون المقصود في الجميع إحداث العظة والعبر .
 كم أهلكنا قبلهم من القرون القرون : جمع قرن ، والقرن هو المدة الطويلة من الزمان ، ويطلق على الناس المتلازمين في بقائهم في المدة الطويلة من الزمان أنهم قرن ، فإن أصل القرن هو المدة الطويلة من الزمان ، ويطلق على من تصاحبوا في هذه المدة الطويلة من الزمان أيضاً أنهم قرن لتلازمهم وتصاحبهم في هذه المدة الطويلة من الزمان .
هنا **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون** المقصود بها : من الأمم ، من الناس ، كل أمة قرن . قرن لأنهم تلازموا لمدة طويلة من الزمان . ((خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) فقرني يعني الصحابة ، الذين لازموا النبي صلى الله عليه وسلم ويتلازمون مدة طويلة من الزمان . لا يُشترط أن تكون مائة سنة ، مدة طويلة من الزمان . ((ثم الذين يلونهم)) : يعني التابعين ، ((ثم الذين يلونهم)) : ثم تبع التابعين . لكن هنا **من القرون** : يعني من الأمم ، هذا معناه . **كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً** .

....

قال هنا : **من القرون أنهم إليهم لا يرجعون** (أن) دائماً تُقدر بمصدر **أنهم إليهم لا يرجعون** إذا كان خبرها منفياً فتُقَدِر المصدر بعدمه ، يقول : **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون** هم رأوا إيش ؟ عدم رجوعهم : ألم يروا عدم رجوع من أهلكنا قبلهم من القرون . إذاً (أنهم) هذه تقدر بمصدر واحد بخلاف (إن) فإنها تقدر بجملة ، تقدر بجملة .
إذاً هنا **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم** يعني عدم رجوعهم ، ألم يروا عدم رجوعهم وتكون الرؤيا هنا إما بصرية أو علمية أيضاً .

قال جل وعلا بعدها : ﴿ **وإن كلٌ لما جميعٌ لدينا محضرون** ﴾ هذا كله تهديد وتخويف لأولئك لأنه قال لهم ﴿ **ألم يروا** ﴾ ـ قد قررنا لك في الدرس الماضي أو في الذي قبله أن همزة الاستفهام هذه إذا لم تكن على بابها ، يعني على طلب استفهام الخبر ، فتكون لمعانٍ ، منها أن تكون للإنكار أو تكون للتوبيخ ، ومتى تكون للإنكار ؟ إذا كان ما بعدها باطلاً ، ومتى تكون للتوبيخ ؟ إذا كان ما بعدها واقعاً ـ قال جل وعلا هنا : ﴿ **ألم يروا كم أهلكنا** ﴾ فإذا عزلت الألف ، يعني الهمزة ، هي ليست بألف ، همزة ، وقرأت : لم يروا كم أهلكنا . هم رأوا صحيح ؟
فإذاً لم يروا : هذا صحيح ، هم لم يروا أو رأوا ؟ هم رأوا ، فتكون الهمزة للإنكار ؛ لأن ضابط همزة الإنكار أن ما بعدها باطلاً يكون بدون الهمزة ، ومع الهمزة يكون مثبتاً ؛ لأن النفي يكون بعده نفي يكون للإثبات ، فتكون الهمزة للإنكار ، أنكر عليهم أن يكونوا يستهزئون بالرسل ويكذبون الرسل ولا يستجيبون لهم ، وهم مع ذلك يرون من قبلهم من الأمم والقرون كيف أهلكهم الله جل وعلا بتكذيبهم للرسل ومعصيتهم لله تبارك وتعالى وعدم استجابتهم وإقبالهم على ما جاءت به الرسل . يرون ذلك ويعلمونه ويعلمون ما حل بما حولهم من القرى ، كما قال جل وعلا : **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى** ﴾ يرون ذلك يعلمون أن هؤلاء أهلكوا بكذا

، بسبب جاءهم رسول فكذبوه فأهلكوا ، ومع ذلك لم يستجيبوا . فأنكر عليهم جل وعلا أن يقيموا على هذه الغواية مع علمهم بذلك ، بقوله : ﴿ **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إلينا لا يرجعون** ﴾ تلك القرون التي هلكت لا يرجعون إليهم ولا يرونهم فإذاً أين ذهبوا ؟ لاشك أنهم عوقبوا من الله جل وعلا وسيقابلون ما عملوا يوم لقائهم لله جل وعلا .
قال بعدها : ﴿ **وإن كلٌ لما جميع لدينا محضرون** ﴾ و(لما) هنا هي التي فيها خلاف في تفسيرها ، والصواب أنها بمعنى (إلا) ؛ لأن (لما) إذا أتى قبلها كلمة (إن) فإنها تدل على الحصر ، والحصر مستفاد من النفي وأداة الاستثناء إلا ، و
(إن) نافية فتكون لما بمعنى أداة الاستثناء . وهذا كقوله تعالى : ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** ﴾ إن كل نفس لما : يعني ما

كل نفس إلا عليها حافظ ، ليس ثم نفس إلا عليها حافظ . كذلك هنا : ﴿ **إن كل لما جميع** ﴾ : يعني ما كل إلا جميع ، يعني مجتمعون لدينا محضرون . وقوله ﴿ **محضرون** ﴾ هنا فيها تفسيران ، في نظائرها في القرآن إما أن يكون محضرون بمعنى قادمون مجموعون ، من الحضور والقدوم والاجتماع وعدم الغياب ، وإما أن يكون بمعني العذاب ، لأن معنى أحضره : معنى عذبه . وهذه جاءت في القرآن وهذه جاءت ، كما قال جل وعلا في سورة القصص : ﴿ **أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين** ﴾ تفسيرها في سورة القصص يعني من المعذبين . المحضرون بمعنى الحاضرون ، فإذاً هنا تحتمل هذا وتحتمل هذا .
فإذاً قوله ﴿ و**إن كل** ﴾ يعني كل من سلف من القرون ﴿ **إلا مجموعون** ﴾ لا يفوت أحد منهم .
فإذاً (كل) بالنظر إلى القرون و(إلا جميع) بالنظر إلى أفرادهم ، (لدينا محضرون) حاضرون وأيضاً معذبون بالعذاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن كثير في تفسير سورة يس :

﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون * سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾

يقول تبارك وتعالى : ﴿ وآية لهم ﴾ أي دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى ﴿ الأرض الميتة ﴾ أي إذا كانت ميتة هامدة لاشيء فيها من النبات فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى ﴿ أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ﴾ أي جعلناه رزقا لهم ولأنعامهم ﴿ وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ﴾ أي جعلنا فيها أنهارا سارحة في أمكنة

يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عطف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها .
وقوله جل وعلا وما عملته أيديهم أي وما ذاك كله إلا من رحمة الله تعالى بهم لا بسعيهم ولا كدهم ولا بحولهم وقوتهم . قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة . ولهذا قال تعالى أفلا يشكرون أي فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى واختار ابن جرير بل جزم به ولم يحك غيره إلا احتمالا أن ما في قوله تعالى وما عملته أيديهم بمعني الذي تقديره ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أي غرسوه ونصبوه . قال : وهي كذلك في قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أفلا يشكرون ، ثم قال تبارك وتعالى سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض أي من زروع وثمار ونبات ومن أنفسهم فجعلهم ذكرا وأنثى ومما لا يعلمون أي من مخلوقات شتى لا يعرفونها كما قال جلت عظمته ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون .

الشرح :
هنا في قوله تعالى : **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون** ، قوله هنا : **وآية لهم** : الآية هي الدلالة الواضحة البينة على الشيء ، فالدليل على الشيء إذا كان واضحاً بيناً يسمى برهاناً ويسمى آيةً . وفي الغالب يسمى برهاناً إذا كان يجيء به المرء ، وإذا كان أعم من ذلك يعني مما يكون مشاهداً وليس بمجيء به يعني بالخصوص ، ليس بمقام بالخصوص ، يسمى آية . فإذاً الآية هي الدلالة البينة الواضحة الظاهرة على الشيء .

هنا قوله : ﴿ **وآية لهم** الأرض الميتة ﴾ آية لهم على أي شيء ؟ آية لهم يعني دلالة ظاهرة بينة واضحة على إحياء الله جل وعلا للموتى ، آية لهم على أن الله جل وعلا هو المنعم عليهم ، آية لهم على أن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة وحده لأنه هو الذي أنعم عليهم ورباهم بهذه النعم الكثيرة صغيرها وكبيرها ، آية لهم على ما أنكروا من جميع الأمور التي أنكروا ، آية لهم الأرض ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد . فهذه الأرض لو تأملوها لوجدوا أن فيها دلالات كثيرة واضحة بينة على أن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة ، وكذلك على أن البعث ممكن بل على أن البعث صائر . والأرض بإحيائها كثيراً ما يُمثل إحياء الموتى بإحياء الأرض الميتة في آيات كثيرة من القرآن .

....

المقصود : أن قوله ﴿ **وآية لهم** ﴾ تحتاج أن تكون آية على شيء ، آية لهم على أي شيء ؟ على محذوف ويدل عليه الحال ، يعني حال أولئك المكذبين للرسل .

﴿ **وآية لهم** الأرض الميْتة ﴾ الميْتة : بالسكون أو الميْت بالسكون ، هو من حل به الموت . وأما بالتشديد الميِّت : فإنه يُطلق على من سيحل به الموت وربما يُطلق أيضاً لغة على من مات فعلاً ، قال جل وعلا : ﴿ **إنك ميِّت وإنهم ميِّتون** ﴾ يعني ستموت وسيموتون . أما الميْت : هنا كما قال : ﴿ **الأرض الميْتة** ﴾ يعني الحال الآن ليس فيها حياة .

﴿ **أحييناها** ﴾ الإحياء مختلف ، الإحياء ، إحياء الله جل وعلا للأشياء مختلف ، فمن مخلوقات الله جل وعلا ما حياتها بالروح ، ومنها ما حياتها بالنماء . وكذلك عكسه الموت اللي هو مقابل الحياة عكس الحياة ، هذا الموت يكون بمفارقة الروح للبدن من ذوات الروح أو كون الحي لا يقبل النماء ، يُقال : الشيء هذا مات ، إذا لم يقبل النماء . وهذا مهم في علوم الشرع في مواضع كثيرة .

قال :] **وآية لهم** الأرض الميتة **أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون** ﴾ الحب يُطلق على القمح بخصوصه ، وقد يكون غيره مما يشركه في الصفة يُطلق عليه حباً أيضاً ، لكن الأصل أن الحب يُطلق على القمح لأنه هو الذي يعتمده الناس في أكلهم وفي طعامهم .

قال هنا : ﴿ **فمنه يأكلون** ﴾ الناس يأكلون الحب اللي هو البر ، أما الشعير فلا يأكله غالب الناس في الماضي ، وقد يأكلونه إذا احتاجوا إليه ولم يجدوا براً ، الغالب أن الشعير لا يكون للآدميين ، والذي للآدميين البر ، لهذا يكون تفسير الحب هنا بأنه القمح . قال : ﴿ **حباً فمنه يأكلون** ﴾ .

﴿ **وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون** ﴾ ، جعلنا فيها جنات : الجنات جمع جنة ، والجنة تطلق على كل ما يستر الناظر فيها ، تطلق على

....

ما يستر الناظر إليها ، والحديقة قد تكون جنة ، أو نقول الجنة قد تكون حديقة . الجنات ما يستر الناظر فيه إما بطول زرعه وإما لأشجار ملتفة به أو نحو ذلك ، وأما الحديقة فلابد أن يكون ثم سور من شجر يحف بها ، يُحدق بها من الإحداق ، وهذا تستفيد منه في بعض المواضع التي فيها ذكر الجنة في القرآن وتفسيرها بأنها الحديقة ، لكن الجنة قد تُفسر بأنها الحديقة وقد لا تفسر بذلك .

هنا قال : ﴿ **وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب** ﴾ والنخيل : معروف ، وكذلك الأعناب : معروفة . وتخصيص النخيل والأعناب بالذكر لأنها أشرف المطعومات عند العرب ، وأبلغ ما يكون به الإنعام عند العرب : النخل والعنب . بل وعند غيرهم ، كما قال جل وعلا في سورة الكهف : ﴿ **واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً** ﴾ .

قال هنا : ﴿ **من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون** ﴾ يعني عيون الماء

﴿ **ليأكلوا من ثمره** ﴾ هذه العلة ، وهذه تقتضي شكراً لله جل وعلا ؛ لأن الله جل وعلا هو الذي فجر العيون وهو الذي أوجد هذا التراب الذي يكون فيه هذا النبات . فالإنسان يعمل القليل جداً ، يعمل الزرع ، وأما الماء والأرض فهي من عند الله جل وعلا .

ولهذا نفى الله جل وعلا في موضع أن يكون الإنسان زارع ، ونفى أن يكون الإنسان يصنع شيئاً للزرع ، قال : ﴿ **ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ في الواقع الإنسان يحرث الأرض ويضع ، لكن البقية كلها على الله جل وعلا ، هو يسقي الماء لكن هذه الأرض

انتفاع النبتة بها وأخذها من الأرض ما تأخذ ونموها والحياة اللي فيها ، هذه كلها ليست بيد الإنسان ، وإنما يعمل القليل وكل الباقي يعمله رب العالمين ، بل حتى عمل الإنسان إنما كان بإذن من الله جل وعلا وتوفيق ، فالفضل كله لله جل وعلا أولاً وأخيراً .

....

لهذا قال هنا : **ليأكلوا من ثمره** ثم قال : **وما عملته أيديهم** وما عملته أيديهم : (ما) تحتمل أن تكون موصولة ، وتحتمل أن تكون نافية ، ابن كثير قدم كونها نافية ، يعني هذا الذي ذُكر من إحياء الأرض الميتة ومن جعل الحب ، إخراج الحب ، ومن جعل الجنات وتفجير العيون ، ومن أكلهم ، هذا كله ما عملته أيديهم ، إنما الذي عمله وأسداه وأنعم به عليهم هو الله جل وعلا . فتكون (ما) هنا نافية . ما عملته أيديهم : يعني لم تعمله أيديهم ، فهذا فيه قطع توهم البشر أنهم عملوا شيئاً . في الواقع أنهم ما عملوا شيئاً إلا شيئاً لا يصح أن يُذكر في مقابلة ما لم يعملوه .
قال هنا : **وما عملته أيديهم أفلا يشكرون** القول الثاني اللي ذكر أن ابن جرير ، رحمه اله أختاره ، أن ما هنا تكون موصولة ، يعني والذي عملته أيديهم فكله من الله جل وعلا ؛ لأن الله خالق كل صانع وصنعته ، والصنعة التي يصنعها الإنسان هي فعل له ، والله جل وعلا هو الخالق لأفعال العباد ، فالذي عملته أيديهم أيضا المِنة لله جل وعلا ، إذا جعل في البشر الإرادة لعمل هذه الأشياء التي تصلحه وتناسبه ، وجعل في البشر القدرة على هذه الأشياء ، ووجود الإرادة والقدرة بهما حصل المقصود ، والبشر لم يجعلوا لأنفسهم الإرادة ، ولم يجعلوا لأنفسهم القدرة فالذي أعطاهم الإرادة هو الله جل وعلا ، والذي أعطاهم القدرة هو الله جل وعلا، فتكون النتيجة أن المتفضل أصلا هو الله جل وعلا، وأنهم إن عملوه فما عملوا من شيء إلا بما تفضل الله جل وعلا به عليهم ، وأنعم به عليهم من أنواع الإرادات والقدر التي أصلحوا بها معاشهم .
قال هنا : **وما عملته أيديهم** يعني والذي عملته أيديهم ، هذا اختيار ابن جرير ، رحمه الله ، لكن الذي قدم ابن كثير ، وهو أن تكون ما نافية ، هذا أولى ، وذلك لمناسبة السياق له ، لنفي أن يكون لهم في ذلك عمل ، وهو جل وعلا قال : **وآية**

لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون * جعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب * وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره أحيينا ، أخرجنا ، جعلنا ، فجرنا ، ليأكلوا هم ، كل هذا منسوب إلى الله جل وعلا ، فهذا يناسب النفي ، أن ينفى عنهم الصنيع ، وهذا فيه الإبلاغ في الإنعام عليه ، وقطع النظر إلى عملهم ، وأنهم عملوا لأنفسهم شيئا .
قال جل وعلا بعدها : **أفلا يشكرون** أفلا يشكرون هذا حض لهم على ذلك ، يعني هل يشكروا نعمة الله جل وعلا ، والشكر في القرآن جاء في القول وفي العمل ، يعني الشكر لا يكون شكرا حتى يجتمع فيه القول والعمل ، فمن شكر بلسانه مع إنكار الشكر بعمله ، ولم يشكر بعمله فلا يعد شاكرا ، يعد حامدا ، وربما عد شاكرا بالنظر إلى أنه لم يتهيأ له أن يعمل عملا ، ولكن الشكر له موردان : مورد اللسان ، مورد العمل ، قال جل وعلا : **أن أشكر لي ولوالديك** يعني بالقول والعمل ، فسر هذا الشكر في آية الإسراء بقوله : **فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما** هذا قول وعمل ، **وقل لهما قولا كريما** هذا قول ، **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** هذا عمل ، كذلك قوله تعالى في سورة سبأ : **اعملوا آل داود شكرا** يعني اعملوا آل داود عملا شكرا ، فيكون الشكر هو العمل .
فإذًا قوله هنا : **أفلا يشكرون** ، ليس شكر اللسان فحسب ، بل هو شكر اللسان والعمل ، والشاكر هو الذي يشكر بلسانه وبعمله ، وأما إذا أثنى بلسانه دون عمله فيسمى حامدا ولا يسمى شاكرا ، إذا أثنى بلسانه ولم يعمل ، فهذا يصدق عليه الحمد دون الشكر .
فإذًا الشكر مورده اللسان ، ومورده العمل ، فيكون المرء بلسانه شاكرا للنعمة ، ويكون بعمله شاكرا للنعمة .
قوله هنا : **أفلا يشكرون** يعني حضا لهم على الشكر ، شكر الله جل وعلا ،

الشكر باللسان ، شكر النعم التي ذكرها الله جل وعلا وغيرها باللسان ، يكون بأشياء منها :

1. أن تضاف إلى الله جل وعلا ، يعني أن تقال هذه النعم من الله جل وعلا ، هذا واحد .
2. ومنها أن يثنى بها عليه جل وعلا ، يعني يحمد الله جل وعلا على هذه النعم ، هذا من الشكر .
3. وبالعمل يكون باستعمالها فيما يحبه ، فإذا استعملت النعمة ، فيما لا يحب مؤتيها بل فيما يبغضه ، لم يسمى هذا شكرا ، بل عُد كفرا للنعمة .

فمثلا لو أن رجلا أعطى آخر مبلغ من المال ، أمده به ، ثم أنفق هذا الرجل المال الذي أعطيه من الرجل الأول على أشياء يبغضها الأول ، يعني أعطاه أناس يضرون به الأول ، أو أنفق في أشياء في قطيعة رحم الأول ، أو نحو ذلك مما لا يرضاه الأول ، الأول يعترض ، ويقول : أنا أعطيتك المال هذا جزاءي ، أعطيك المال لتستعمله في أشياء تعلم إني لا أحبها . فلا يسميه شاكرا لما أعطاه إيام بل يعده غير شاكر ، وهكذا في حق الله جل وعلا ، فإن الذي أنعم عليه بنعم الله جل وعلا يعد شاكرا :

إذا أضاف النعم إلى الله ، إذا أتته نعمة ، قال هذه من الله ، كما قال الله جل وعلا : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ .

أن يثني بها على الله جل وعلا دائما يحمد الله جل وعلا ، ويثني عليه باللسان ، ويشكره الشكر لله على هذه النعمة ، يشكره ويثني عليه بلسانه على تلك النعمة .

....

ثم يأتي الثلاثة ، وهي مورد العمل ، باستعمال تلك النعم في طاعة الله ، أو فيما يحبه الله ، أو فيما أذن الله به ، يعني فلم يسخطه الله جل وعلا .

هذا معنى هذه الآيات ، وأسأل الله جل وعلا أن يجعل القرآن نورا في قلوبنا ، وأن يفقهنا فيه ، وأن يجعلنا ممن علم تأويله ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه .